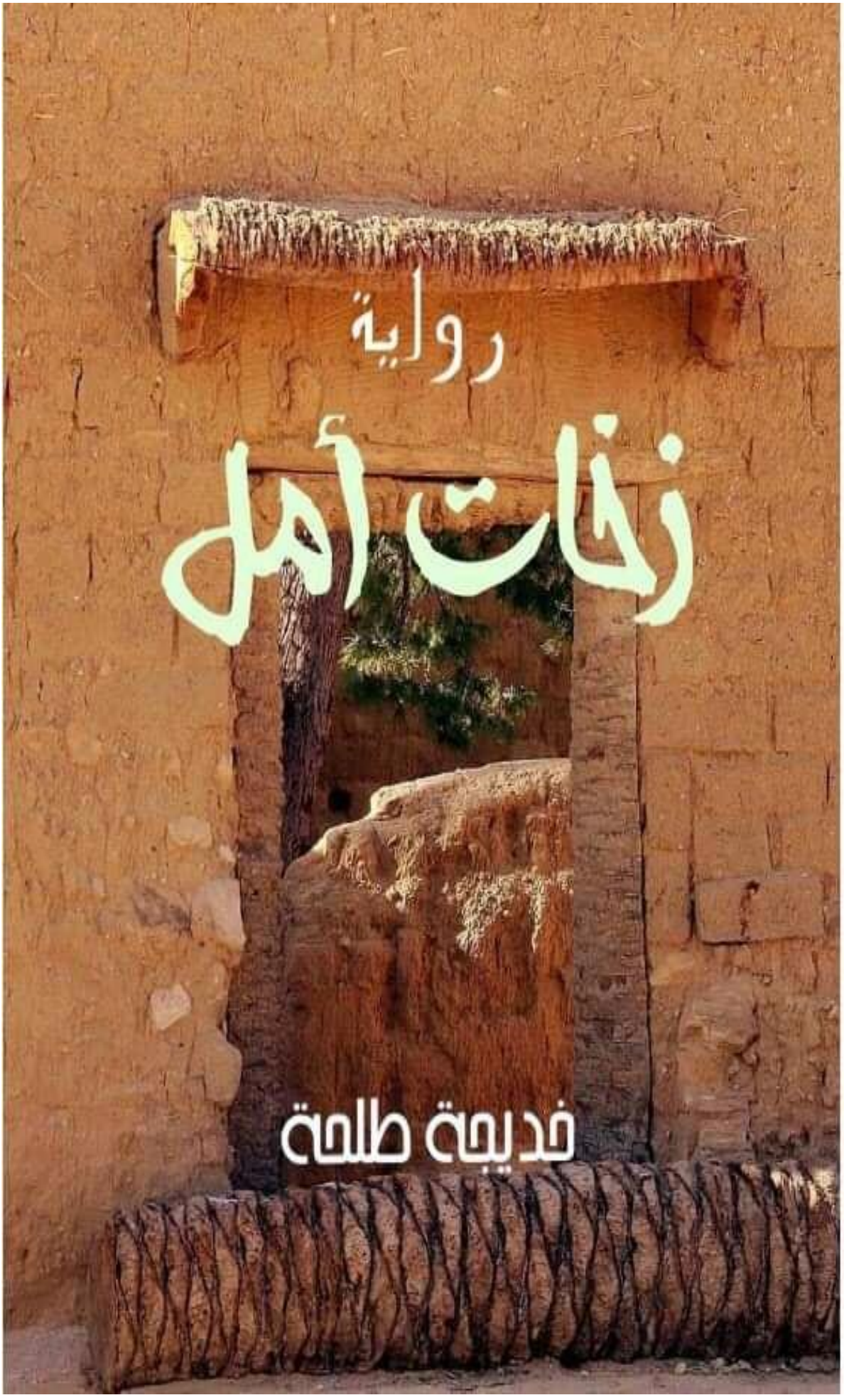
رواية
زخات أمل
خديجة طلحة

زخات أمل

خديجة طلحة

استكنان للنشر

إهداء

إلى من دعمتني دائما إلى صديقتي العزيزة شميسة.

إلى ابنة خالتي الغالية التي آمنت بموهبتي إكرام.

إلى عائلتي الرائعة .

إلى جميع اصدقائي و أحبائي.

إليك عزيزي القارئ.

10/10/2021

(1)

لقد مرت احدى عشرة سنة،نجوت بأعجوبة من دوامة الحياة و ها أنا ذا أقف بينكم ...تعلمت و تجاوزت الكثير...لا أحد يعلم ما كنت أشعر به في لحظة ما

لقد استمعتم إلي الآن لكن أنا على يقين أن لا أحد منكم أحس بكلماتي و كأنها على قيد الحياة ،يا أيها السادة و السيدات إننا في الحياة لنحب...لنحزن... لنفرح...لنتعلم , إننا إذا مررنا بالصعاب كافحنا و نجونا و بعد ذلك نخرج إلى العالم ليصمت و نقول (كم كان سهلا الكفاح)، و أنا هنا لأقول لكم لا لم يكن كذلك بل كان صعبا حتى أننا أنهكنا ،لكن حلاوة الأيام أنستنا مرارة الماضي،أيها الناس تمسكوا بالحياة حتى نهايتها فلربما يتغير القدر و تتبسم لكم الأيام.

"كان حديثك رائعا؛هل صحيح ما تحدثت عنه الآن كانت تجربتك مع الحياة...سيدتي أجيبي ... "

ألو نعم غسان انتهيت للتو سآتي بعد قليل،هل تناولت زينب الغذاء"

"نعم عزيزتي"

"حسنا إلى اللقاء"

سيدتي وصلتك هدية إنها في غرفة الانتظار"

"شكرا لك ماجد سآخذها و أغادر"

لقد مر وقت طويل اشتقت لرائحة ذلك المكان .
"سيدتي هل نذهب إلى البيت ؟"
"لا ،سيصل ضيف عزيز علي الآن لنذهب إلى المطار"
يا الاهي لقد تأخرت مرت ساعة و لم تصل"
"زبرجججد...زبرججد ،انني هنا يا صديقتي"
سها لقد اشتقت لك"
عانقتها بشدة و كأنني أعانق كل من اشتقت لهم دفعة واحدة.
"كيف حالك ،كيف البلد و الأحباء"
" الحمد لله ،بخير"
أعلم أنك متعبة لهذا سنذهب الى المنزل مباشرة لترتاحي"
"هل أعجبتك الورود؟"
" يا لي من حمقاء نسيت الأمر ،أشكرك حبيبتي إنها رائعة"
"هل راسلتهم بعد مجيئك إلى هنا"
لم أفعل يا سها لازلت أفكر في الأمر ،فدافعي الوحيد للعودة هو منزلنا القديم
"أريد رأيته اشتقت لتلك الذكريات،
"اذا سنعود معا بعد قضاء عطلتي"
"نعم ،إنشاء الله"

" أمي أريد هذا العصفور أرجوك اشتريه لي"

"هذه المرة بعد الألف تطلبين مني ذلك يا زبرجد و أنا لازلت مصرة لن أشتريه"

" لكن يا أمي لماذا؟ ،سأعتني به و لن أهمله"
"حتى و إن فعلت سيموت و ستحزنين بعد ذلك مثل ما حدث مع قطتك"

"لابأس سأحاول مع أبي"

"عزيزتي لن تحصلي على كل ما ترغبين به يجب أن تتعلمي هذا لقد كبرت لم تعودي طفلة"

" حسنا يا أمي، لكن ماذا عن كتاب هل يمكنني الحصول على واحد"

"كم انت عنيدة يا بنيتي"

و أخيرا لقد اجتزت امتحان الباكالوريا و أنا انتظر النتيجة بفارغ الصبر ،لقد تعبت كثيرا أتمنى أن أنجح بعد كل ذلك العناء.

"أنور مازلت مستيقظا؟"

" نعم !ماذا هناك"

"تعلم كم أحبك يا أخي العزيز و..."

"تكلمي كفاك تبجيلا ماذا تريدين؟"

"أرجوك، أرجوك يا أنور أقنع أمي بأن تؤخذني معها يوم الأحد القادم،لا أريد أن أبقى بمفردي في المنزل"

" ماذا ماذا منذ متى أصبحت لا تحبذين فكرة البقاء لوحدك"

" نعم لكنني أريد مرافقتها"

"ستعلن النتائج يوم الأحد و انت تريدين الذهاب ،لا أشجعك على ذلك ستتوترين كثيرا لذا من الأحسن أن تبقي هنا، قد وعدتك أمي بأنها ستعود باكرا قبل إعلان النتائج لذا لا تقلقي"

" حسنا لكن هل يمكنك أن تقتني لي كتابا غدا من فضلك"

" الم تكفيك كل تلك الكتب يا إلاهي، ما إسم الكتاب "

" سأخبرك بإسمه غدا"

" اذا تصبحين على خير فأنا متعب و أريد النوم "

" حسنا ليلة سعيدة"

وضعت رأسي على وسادتي و لم أغمض جفناي بقيت أتأمل السقف في سواد الليل ثم أتقلب يمينا و يسارا لكن النوم هجرني كما يفعل في كل ليلة ،فبدأت أتساءل:

"يا ترى هل سانجح أم لا.....لا،لا لا أريد أن أفكر هكذا لا أستطيع حتى تقبل هذا لقد بذلت جهدا كبيرا يجب أن أتفاؤل".
و بعد صراع طويل مع أفكاري غفوت أخيرا.

يرن الهاتف.

" الو"

" صباح الخير كيف حالك"

" آسفة لكن من معي"

" أنا ياسين"

"أنت أيها الحقير ... لا تكلمني أيها الأحمق كيف غادرت دون توديعي، على فكره انا غاضبة منك جدا"

أعتذر زبرجد لم أملك الوقت الكافي لتوديعك و كذلك لم أود إزعاجك،خفت أن تمنعيني و كما تعلمين لم يكن لدي حل آخر سوى الانضمام إلى الخدمة العسكرية"

" كيف حالك"

" الحمد لله"

" اتعلم كم قلقت عليك،اختفيت فجأة."

" آسف حقا لم أرد إخبارك حتى لا تقلقي"

" ياسين سأقطع الخط لقد تأخرت ،عاود الاتصال بي لاحقا"

"حسنا إلى اللقاء عزيزتي إعتني بنفسك جيدا"

نهضت مسرعة و سألت أمي :
"أمييي أين وشاحي الأسود"

" لا أعلم وجهي هذا السؤال لنفسك فالوشاح وشاحك أنت"

نعم يا أمي معك حق "

"لقد وجدته.....يا إلاهي تأخرت كثيرا"

"زبرجد أين ذهب أنور في الصباح الباكر"

"كان لديه بعض الأعمال و طلبت منه ان يشتري لي كتابا"
"يا لك من مستغلة الم تكفيك كل تلك الكتب"

"إلى اللقاء أمي نتحدث حين اعود لأن سها تنتظرني عند الباب"

خرجت على عجلة من أمري لألتقي بصديقتي المقربة سها

" أهلا سها كيف حالك؛ اعتذر أعلم أنني جعلتك تنتظرين كثيرا"

"لا والله حبيبتي تعلمين أنني أنام كثيرا و صعب علي مفارقة الفراش لذا قد وصلت حديثا"

" حقا قد نسيت يا كسولة "

اتعلمين هناك أخبار أظنها ستبهج قلبك ،سمعت من صديقنا أحمد أن ياسين سيعود الأسبوع القادم لزيارة أهله"

هذا جيد لقد اتصل بي صباحا لكننا لم نتحدث كثيرا حتى أنه لم يخبرني و كذلك زوجة عمي لم تخبر امي ... اتعلمين يا سها أشعر بالقلق دائما حتى أن الأرق بات لا يفارقني و كوابيس البكالوريا كذلك ليس لدي الوقت الكافي لأفكر فيه أظن الخبر الوحيد الذي سيسعدني هذه الفترة هو حصولي على الشهادة"

" حتى أنا يا زبرجد، أرجو من الله أن يوفقنا"

." إنشاء الله"

عدت في المساء إلى المنزل بعد يوم طويل قضيته مع سها حتى انني لم اشعر بالوقت أبدا فليس هناك ما هو أجمل من أن أجلس مع صديقتي المفضلة لنتبادل أطراف الحديث.

في صباح الغد التالي رن هاتفي:"الو صباح الخير"

صباح الورد؛ انا ياسين أنني أتصل بك من هاتف صديقي أنني عائد قلت لأخبرك لعلك تودين استقبالي إذا أردت"

الآن!! هل ستأتي حقا ،سمعت أنك ستأتي يوم الأحد؟ماذا حدث أم أنك تدبر مقلبا مثل كل مرة"

"لقد قاموا بتقديم موعد خروجي ، أنا لا أمزح أعدك يا زبرجد سآتي لنلتقي في المحطة لا تتأخري"

"حسنا سأنتظرك..."

مهلا كم الساعة الآن ؛ يا له من أحمق دائما يأتي في الأوقات الضيقة، لكن الخطأ خطئي لو قلت أنني لن آتي .....أبدوا كالمغفلة و أنا أتحدث إلى نفسي"

غادرت المنزل متجهة نحو محطة القطار و جلست على إحدى المقاعد منتظرة كنت متحمسة جدا حتى انني اتيت قبل الموعد بنصف ساعة.

"يبدو أنني جئت باكرا "
أخرجت هاتفي لأكمل كتابة روايتي.

وصل القطار بعد مدة ....قمت مسرعة و ترقبت الأجواء حتى رأيته

....ها هو يااسين أنا هنا "ملوحة بيدي"

(2)

ما به هذا المغفل الم يسمعني ،توجهت نحوه و قلت

أيها الأصم لقد جئت لانتظارك و فجأة التفت الشاب , خاب أملي لم يكن ياسين وضعت نفسي في موقف محرج
"تفضلي هل ناديتني؟"

"عفوا حقا أنا آسفة ظننتك شخصا أعرفه"

" لا بأس يا آنسة"

تراجعت قليلا و عدت لأترصد المكان مرة ثانية, وعدني بالقدوم لا يمكن أن يخلف بوعده ....
"لا بد أنه مازال في الداخل أو حدث ما منعه "

انتظرت حتى نزل الجميع تقدمت نحو العامل..

"مرحبا عمي، هل نزل الجميع ؟"

"نعم، نزل جميع الركاب"
في لحظة أحسست بخيبة أمل كبيرة و كأن الشخص الذي كنت أعرفه اختفى غادرت المحطة منكسرة أحمل ألف سؤال و جواب, أضع الأعذار و أتراجع ثم أقول في نفسي لابد أنه مشغول سيتصل و يعتذر لي عن التأخر.

....و أثناء عودتي تصادفت مع أحمد صديق ياسين المقرب
"مرحبا زبرجد، يبدوا أنك كنت تنتظرين ياسين في محطة القطار"

"نعم لكنه لم يأتي، هل هو بخير؟"

"نعم لقد نزل في محطة أخرى كان لديه موعد ،ظننت أنه أخبرك"

"لا لم يخبرني، موعد ماذا؟"

"مع فتاة ما"

يا الاهي ماذا يحدث إن قلت الآن لم يكن لدي علم فسأبدوا كالمغفلة في نظره.

"اا تذكرت كان قد أخبرني لكنني نسيت "
"لم يعد أي منا في صوابه مع اقتراب نتائج البكالوريا معك حق "
"أين المكان الذي يتواجد به الآن"

" إنه في المقهى المجاور للمحطة التي تقع في الجهة الشمالية للمدينة."

"حسنا شكرا"
عدت للمنزل بخطوات مثقلة .
" مرحبا أمي"

" أين كنت ؛ظننتك نائمة"

" لا يا أماه ذهبت لإستقبال ابن عمي ياسين في محطة القطار لكنه لم يأت"

"سأتصل بوالدته بعد الفطور و ربما نزورهم لا بد انك اشتقت لصديق طفولتك"

" لا يا ماما فأنا متعبة من الخروج ثانية ؛هل أساعدك في إعداد الفطور"

"نعم ،اه تذكرت سأذهب أنا و والدك غدا عند إبنة عمي لقد سقطت من الدرج و إلتوى كاحلها"

"هل غيرتم الموعد،كنتم تودون الذهاب يوم الأحد"
نعم زبرجد كان لوالدك عمل مهم لكنه أتمه باكرا وسنذهب لزيارتها غدا لذا ستبقين في البيت لوحدك ,انتبهي"

" نعم أمي أعلم ،ستوصلون أنور إلى العمل أيضا أليس كذلك"

" طبعا ,لن نتأخر سنزورها ثم نعود"

في صباح الغد استيقظ الجميع باكرا للذهاب وقفت بجانب الباب لأودعهم فتقدمت والدتي و عانقتني.

"أمي ماذا بك إنها زيارة قصيرة ثم تعودين ،سأجهز العشاء و أنتظركم"
" حسنا صغيرتي، اقفلي الأبواب جيدا و سخني الغذاء الذي حضرته لك"

" إلى اللقاء"

ماذا سأفعل لوحدي يا ترى.
رميت بجسدي على أريكتي لأقرأ كتابي و على طاولة بجانبي وضعت فنجان قهوتي الساخنة و غصت في أعماق الكتاب أتتبع سطوره
أنتظر النهاية بفارغ الصبر ....رن هاتفي.

الو نعم حبيبتي كيف احوالك،و الله بخير الحمد لله"

" هل التقيته"

"لا لم نلتقي"

" لماذا الم تذهبي؟"

" لا يا حبيبتي ذهبت لكنه لم يأتي، اتصلت به و لم يجب ،سأقطع علاقتي به"

" امنحيه فرصة أخرى لعل ظروفه لم تسمح له"

فالينسى ما كان بيننا... لن أعطيه فرصة أخرى أبدا,ذهب دون توديعي ثم أعطاني موعدا زائفا حتى أنني حضرت في الوقت المتفق عليه و لكنه لم يأتي , هو من أخلف بوعده لي و أنا لا أثق بشخص مهمل مثله"

" لا أعلم ماذا أقول يا زبرجد"

"أنت صديقتي المقربة يا سها و تعلمين صدق مشاعري و أنا أشعر و كأنني خذلت لهذا أرجوك لا تدافعين عنه"

"حسنا لن أفعل"

" إلى اللقاء"

"إلى اللقاء عزيزتي"

" ما بك يا صديقي العصفور اليوم لا تصدر صوتا ،هل انت مريض؟"

"ربما أنت جائع"

في تلك الأثناء بينما أنا في المطبخ أحضر طعاما لعصفوري رن هاتفي مرة أخرى.
"ما بال هذا الهاتف أصبح كثير الإزعاج في الفترة الأخيرة"

"ألو مرحبا من معي ؛نعم أنا هي ما الأمر"
"تعرضت عائلتك لحادث سير و نقلوا جميعا الى المستشفى"
"غير ممكن لابد من أنك مخطأ"
بدأت أشعر بالدوار ثم لاشيئ...فقط ظلام حالك.

فتحت عيناي و إذا بي في المستشفى ملقاة كجسد بلا روح على إحدى الاسرة و لا أحد بجانبي، أغمضت عيناي لأتذكر و أرتب تلك الأحداث المتشابكة.

" لا يمكن هذا ،لعلي كنت أحلم"

وضعت وشاحي و خرجت من الغرفة آملة أن أكون في حلم، فتحت باب الغرفة بقوة و إذا بخالتي واقفة بجانب الباب.
"ماذا يحدث يا خالتي أرجوك أخبريني"

كان وجهها شاحب و عيناها حمراوتان كالدم ،دموع تتناثر بدون استسلام كل تلك التفاصيل أيقظتني من غفوتي تركتها متسمرة هناك و ركضت حتى لمحت جدي.

" أين هم أجبني أين"

" تعالي ابنتي اهدئي،اهدئي"

" لا لن اهدأ أريد رؤيتهم الآن ،أريدهم أين هم أجبني أرجوك"

أشار باصبعه إلى الغرفة و هو يبكي ، دخلت و ليتني لم أفعل ؛كم تمنيت أن يكون كل هذا مجرد كابوس مزعج تسلل إلي.
كم تمنيت أن أكون الآن على سريري في المنزل و لازال الجميع نيام كم تمنيت لو أن الشمس لم تشرق بعد و عائلتي لم تغادر ،تمنيت الكثير و لم يتحقق شيئ.

تسمرت في مكاني لقد صدمت ،كيف لي أن أفقدهم جميعا في لحظة بينما كانوا صباحا بجانبي ،أصبح جسدي ثقيلا علي و كأنني أريد أنا الأخرى مغادرته.

"يا الاهي لم تعودي تجزمين بين الخيال و الواقع يا لك من فتاة يا زبرجد رحل الجميع و أنت تحسبين نفسك في حلم؛ انهضي أماه أترجاك انهضي لقد حل الصباح أنظري جاءت صغيرتك، انهضي لا تتركيني أحن لتقبيلك و رائحة حضنك،انهض يا أبتي هيا انهض يا أخي ألم تعدني أنك ستعود وعدتني بشراء كتاب لي أنهضوا أرجوكم لا أريد البقاء وحيدة أترجاكم لأجلي"

صعب الاشتياق، صعب جدا لن تشعر به لأن أحباءك بجانبك الآن. اغمض عينيك الآن و تخيل أنهم غادروا للأبد،لا تملك فرصة لرؤية قهقهاتهم أو حتى دموعهم،رائحتهم ،كنت هنا معهم ثم فجأة...اختفوا و بقيت لوحدك.

كان الجميع بجانبي بينما أنا جالسة في غرفتي باردة كالثلج تبلدت مشاعري لا أرغب في أحد, لم يمر الكثير لكنني أفتقدهم كثيرا ،دخل ياسين لتعزيتي ثم تقدم نحوي و تمتم بكلمات لمواساتي ،لم أرفع عيناي عن الأرض .رغبت في معاتبته و أن أسند نفسي عليه و أبكي لكنني اكتفيت بنفسي لأنه هو الآخر مات بداخلي.

" ماذا سنفعل بالفتاة الآن من سيتولى رعايتها"

" لا أعلم لكن على الأغلب أبي من سيأخذها"

" هل سيسمح أحمد جواد و زوجته؟"

"يا للمسكينة جاءت خالتها راكضة اليها عندما سمعت الأخبار و قيل أنها وجدتها مغماة على الأرض"

"نعم لم تتحمل الخبر كان كالصاعقة ؛ أتعلمين رغبت كثيرا في أخذها معي لكنك تعرفين طباع زوجي الحادة"

بعد مرور أسبوع على الجنازة ناداني جدي في المساء.

"زبرجد أبي يريد الحديث معك تعالي إلى الغرفة"

" أنا قادمة"

توجهت نحو الغرفة بينما كان الجميع جالسين في انتظاري.

(3)

"ادخلي بنيتي أريد التحدث إليك"
جلست و أنا أعلم ما يريد جدي التحدث فيه ،كان يبدو صارما لاحظت ذلك من تفاصيل وجهه و طريقة جلوسه الرسمية.

"أصغي الي جيدا يا زبرجد بعد هذه الحادثة المؤلمة التي أصابتنا قررت بأن تقيمي معنا من اليوم و صاعدا أنا و عمك أحمد و زوجته ؛سنكون عائلتك الجديدة إن لم يكن لديك مانع طبعا"

اكتفيت بالصمت ، حتى قالت خالتي:

"عذرا للمقاطعة لكني أود أن أتولى رعاية ابنة أختي"

أنا جدها و أنا من أتولى رعايتها هذا آخر كلام عندي و لا أريد معارضة ,بما أن الفتاة صمتت فأظن أنها موافقة"

نهضت مغادرة الغرفة متضايقة ،أردت بعض الهدوء لأريح بالي،حتى لحقت بي خالتي.
"زبرجد انتظري"
"نعم خالتي"
"لماذا وافقت تعلمين أن زوجة عمك تلك لا تحبك!! ،ستضايقك كثيرا"
خالتي حقا أشكرك على كل شيء، لم يعد يهمني مع من سأبقى فقط أريد إكمال ما تبقى لي من أيام في هدوء. و قد وافقت لكي لايشعر جدي بالحزن فأنا أعلم أنك لن تحزني لانك تحبينني"

حبيبتي الغالية لا تقولي مثل هذا الكلام ،أشعر و كأنك تودعينني تعالي لأعانقك"

جلست بجانب نافذتي غائبة عن عالمي المؤلم، كالعادة أتأمل الشجرة التي بجانب نافذتي ،قلت بداخلي:
"لقد كبرت يا شجرتي الحبيبة لازلت أتذكر اليوم الذي غرستك فيه مع والدي و أنا أمازحه قائلة (يا والدي لا أحب هذه الشجرة الصغيرة ،لماذا لا نزرع بدلا عنها واحدة كبيرة لأراقبها من نافذة غرفتي).
ضحكت و كأنني لم أضحك أبدا ،تساقطت دموعي متسارعة... ، سهوت بعيدا فمرة تهب رياحا مداعبة أوراق الأشجار و كأنها أميرات تهتز على موسيقى البيانو الهادئة و مرة تهب رياحا قوية وتهتز الأوراق على موسيقى الروك الصاخبة و بينما أنا هائمة في عالمهم اللطيف هناك حتى دقت سها باب الغرفة.

" زبرجد هل انت في الداخل! ؟أنا سها ،هل أدخل؟"

" نعم أدخلي"

تقدمت نحوي بهدوء هامسة الي : "هل أنت على ما يرام "
و كأنها قرأت الحزن المخيم في أعماقي ...عانقتها و اكتفيت بالنحيب كالأطفال و كأنني كنت انتظر شخصا يسألني حتى افرغ ما بداخلي.

" سها أشكرك.،أنت الوحيدة التي تفهميننني"

الله يشهد علي أنني أحبك كأختي و أكثر سأكون بجانبك داعمة إياك دائما؛
تذكرت سوف أبهج قلبك بهذه البشارة لقد نجحت في شهادة البكالوريا يا عزيزتي
تحقق حلمك، مبارك لك"

"أي حلم يا عزيزتي لقد تحطم كل شيئ فجأة ,أنا حقا محبطة "

حل الصمت رهيب ثم قلت
" و أنت يا سها "
"نعم نجحت أيضا،لقد اخترت تخصص الصيدلة ناقشت الموضوع مع أمي
بالأمس"
صمتت ثانية ,كان كلام الجميع يعتبر حزنا بالنسبة لي فأنا التي كنت أنتمي
لعائلتي قرارهم هو قراري,أحباءهم هم أحبائي و الآن أشعر بالانفصال.
"حقا أعتذر يا زبرجد لم أكن أقصد"
"لا بأس يا سها ,إنه القدر "

لا تضغطي على نفسك هناك متسع من الوقت لتفكري،عزيزتي أريحي بالك
لفترة"

" اتعلمين سنغادر في الصباح إلى بيت جدي"

" ا بهذه السرعة"

" نعم تكلمنا منذ قليل و اتخذ جدي هذا القرار"
"مؤسف حقا سأشتاق لك كنت قريبة مني و ها أنت اليوم تغادرين،أظن أننا لن
نلتقي كثيرا"

"لا سنلتقي مثل السابق لن يتغير شيئ يكفي ألا تحزني يا سها سنلتقي كلما سمحت
الفرصة"

"سأتركك ترتاحين "
"حسنا"

استيقظت صباحا و تخيلت لفترة أن كل شيئ كالمعتاد لكن هذه المرة لم تخترق رائحة القهوة الصباحية أنفي ،لم تكن أمي موجودة لتلقاني بحبها الدافئ و ابتسامتها المرحة، تمنيت لو أعانق أخي و أقبل أبي لكن لم يحدث أيا من هذا فقد غادروا عالمي نهائيا.

حزمت أمتعتي و ودعت منزلنا و ذكرياتنا الحلوة و المرة و وضعت كل شيئ في صندوق بداخلي أفتحه و أغلقه وقت ما أشاء ،أما المفاجئة الجميلة خبئتها بجانب الشجرة لعلي أتذكرها يوما ما كما كنت أفعل مع والدي دائما"

وصلنا إلى بيت جدي و قد كان يبدو كل شيء هادئ، آخر مرة حضرت إلى هنا كنت برفقة عائلتي الجميلة و اليوم ها أنا أدخل وحدي...عجيبة هذه الحياة.

" زبرجد ،اختي تعالي انظري من أتى"

" هاي هاي انها زبرجد"

" مرحبا كيف حالكم"

".نحن بخير، هل جئت لتقيمين معنا إلى الأبد هنا؟!،لقد أخبرتنا والدتي بذلك "

صمت لم أجد ما أقوله ، نظرت إلى زوجة عمي لم ترق لي نظراتها و كأنها لا يعجبها بقائي ،و هذا ما كنت أتوقعه.

مر أسبوع على مغادرة منزلي شعرت بشوق بداخلي إلى غرفتي و طاولتي و عائلتي و كأنني شجرة مجوفة القاع،تلك الأحلام انتهت و حياة الأميرات في منزلنا ولت لم يبق معي سوى بعض الأشخاص يتخلون عني في أول انعطاف.

" جدي أريد التكلم إليك إن كنت متفرغ"

" نعم تعالي ابنتي"

"لقد فكرت مليا و كما تعلم نجحت في شهادة البكالوريا الحمد لله ،و أود إكمال دراستي "
بالطبع ستكملين هل فكر.. "
مقاطعة إياه زوجة عمي نجلاء:

".ماذا ماذا تكمل دراستها، من سيدعمها ،و يتولى تسديد مصاريفها"

" زوجة عمي العزيزة تعلمين كم احترمك لذا هلا سمحت لنا بإكمال حديثنا"
قال جدي:
" نعم يا نجلاء تفضلي بالخروج"

"أبي هل تطردني؛ هاذا ليس عدلا إني بالمنزل أقوم لوحدي بجميع الأعمال و أحتاج من يساعدني و فوق كل هذا تريدين إكمال دراستك لاخدمك أنا"

"لقد ترك والداي لي مبلغا لا بأس به أظنه سيكفيني لذا لا احتاج دعم أحد , إن كنت تفكرين في الجانب المادي أما أعمال المنزل لم أطلب خدمة أحد الشكر لله على الصحة أستطيع التكفل بنفسي"

حتى قال جدي:
" سأقرر ذلك بنفسي"

"ألم تسمعها يا أبي انها تقول أموال والدي؛عزيزتي تلك الاموال نصرفها على أكلك و شربك و تريدين منا أن نكلف أنفسنا حتى مصاريف دراستك.لا يا زبرجد انك مخطئة"

" أقول لكم أنني سأقرر بنفسي، لذا توقفا عن الشجار حالا"

خرجت من الغرفة و أنا لا اطيق البقاء ثانية أخرى في المنزل،كنت أعلم أنها البداية فقط لكنني لم أتوقع يوما أن زوجة عمي ستكون بهذ القسوة .

" الو سها كيف حالك؛ هل أنت متفرغة نعم لست بخير لنلتقي في الحديقة"

توجهت إلى الحديقة لأنعم ببعض الهدوء لنفسي وأخرجت هاتفي ،تلقيت العديد من الرسائل من أصدقائي لتعزيتي و بين كل تلك الرسائل لفت انتباهي شيئ ما(لماذا لا تجيبين على رسائلي) كانت قد وصلتني قبل الحادثة،(اشتقت لك يا زبرجد هل أنت بخير؟)و هذه بعد الحادثة،لم أكمل القراءة حذفتها بسرعة ثم أخرجت قلمي و مدونتي لأكمل روايتي.

حتى وصلت سها

" !زبرجد ماذا هناك ؛قلقت عليك"

" لا شيئ يا سها فقط احس بألم حاد"

" أين عزيزتي؟ دعينا نزور الطبيب "

"لن يعالجه الطبيب ليس له دواء؛ لقد تحدثت إلى جدي منذ قليل عن مصير دراستي حتى دخلت نجلاء و تفوهت بكلام فظ لهذا توترت"

"اصبري فقط لنكمل دراستنا و نغادر من هنا أنا و أنت أليس كذلك هذا ما كنا نريده دائما"

"نعم يا صديقتي الحمقاء"
..صمت لبرهة ثم قلت : "آسفة يا سها لأنني أرهقك بمشاكلي الخاصة"

" سأبرحك ضربا الآن!! أنا و أنت أختان كيف تقولين هذا"

تبادلنا أطراف الحديث لعدة ساعات و لم نشعر بمرور الوقت.

" انهضي لنغادر حتى لا نتأخر هيا"

ركبنا الحافلة سويا ثم نزلت حين وصلت إلى وجهتي و ودعتها.

عندما وصلت إلى المنزل وجدت نجلاء تقف بجانب الباب تنتظرني, أمسكت يدي بقوة و قالت "اسمعيني جيدا ،لست في منزلك لتخرجي متى شئت و تتنزهين

كما يحلو لك و أنا لست خادمتك لأحضر لك الطعام ،سأذهب لمشاهدة التلفاز حضري العشاء .
حضرت الطعام و بقيت أفكر في موضوع دراستي.

جلسنا على المائدة جميعا حتى قال عمي:

" سمعت يا زبرجد أنك تودين إكمال دراستك"

" نعم يا عمي"

"لكن ماذا سيقول الناس عنا، إننا نمر كل يوم بجانب الجامعات و المعاهد و نرى أمورا عجيبة و أنا لا أريد كلام الناس أن يشوه سمعة عائلتنا"

"لا تخلط بيني و بين بنات الشوارع يا عمي الحمد لله رباني والداي على طاعة الله و أستطيع أن ادرك الجيد من السيئ ؛ و إن كنت تشير على أنني سوف أصبح مثل أولئك فانسى ذلك بالإضافة ما دخل الناس ، الا يعتبر تدخلهم قلة أدب"

حتى قال جدي: "محمد هذا ليس بالكلام الذي يقال اتشكك في تربية إبنة أخيك"

"لا يا أبي استغفر الله لكن أنت ترى ما يحدث اليوم في الجامعات و أنا لست راض عن ذلك"

"أعلم أني أقيم معكم في نفس المنزل لكن أتمنى أن لا يتدخل اي أحد منكم في أموري الخاصة لقد صرت كبيرة و أستطيع إتخاذ قراراتي بنفسي ،فلا داعي لتضخيم الأمور"

(4)

أنا تائهة، بعيدة عن كل شيئ رغم القرب ،أفكر و أفكر لكن لا مخرج تكلمت معهم و كأنني واثقة من قراري لكن أعلم أنهم سيضعون حاجزا أمامي و مع ذلك أملك فرصة ,لن أستسلم بهذه السهولة و لن أكون هدفا سهلا لنجلاء.

في الصباح خرجت من المنزل متجهة إلى المكتبة ،كنت أشعر بحال أفضل و كأنني أبدء من جديد بعد مرور شهر على الحادثة. لقد إشتقت للمطالعة مر زمن طويل لم أذهب إلى هناك و في طريقي لمحته ، من الخطأ مخاطبته و قلت في نفسي : (فقط تجاهليه يا زبرجد) حنيت رأسي متجاهلة إياه.

"زبرجد هل أستطيع التحدث اليك؟"
أكملت طريقي و كأنني صماء،لكنه واصل ملاحقتي و قاطع طريقي.

" ماذا تريد يا ياسين تحدث بسرعة، دعني اذهب"

"هل سنتحدث هنا!؟"

" لا أملك وقتا لأحاديثك تلك، ها أم تريد اخباري أنني ظلمتك"

" أرجوك فالتهدئي دعينا نجلس في مكان ما لنتفاهم"

صمت بعض الوقت لأفكر ثم وافقت .

ذهبنا إلى مقهى قريب كنا نجتمع فيه مع الأصدقاء ،جلسنا و طلبنا القهوة أشعر بنظراته لكني استمررت في تجاهلها ،إنه في كل مرة ينوي مواساتي و تلفيق الأكاذيب يقوم بجمع يديه و يحدق بي طويلا،ليست المرة الأولى و لا الثانية لقد حفظتها عن ظهر قلب.

" اتتذكرين تلك الأيام التي كنا نقضيها هنا"

" لا أتذكر شيء يا ياسين، قل ما عندك"

"لا أعلم سبب تجاهلك لي، صحيح أنني أخطئت حين طلبت منك القدوم إلى المحطة للقائي،لكن صدقيني كان عندي موعد مهم لهذا نزلت في المحطة التي قبلها"

"لا أريد تبريرا أنت لا تعلم كم انتظرت هناك و كلي شوقا لرؤيتك ،و لا تعلم بأني غادرت أجر آمالي التي خابت ،لقد انتهى ما كان بيننا في ذلك اليوم"

" أنا أعتذر"

" هل سيصلح اعتذارك جرح قلبي...لا لن يفعل ،إذا وداعا"

" زبرجد لا تذهبي لا أستحق هذا"

"ياسين أنت تعلم أكثر مني مع من التقيت في ذلك اليوم و أظن أنني أعلم أكثر منك ما تستحقه فلا تتقمص دور المظلوم"

"هل هذا آخر كلام عندك؟"

"نعم"

توجهت نحو المكتبة ؛و أنا في الطريق شرعت أتحدث لنفسي .
"حقا لا شيء يستحق الاهتمام غير الكتب ،قال اعذريني قال يا له من وقح أفقدني صوابي"

"أنظر يا رحيم هذه هي الفتاة التي حدثتك عنها أود أن أعرف أين تقيم و ما إسمها"

"من أين تعرفها؟"

"كانت تزور المكتبة كل يوم ثم انقطع مجيئها مدة من الزمن لا أعلم السبب ... و ها هي تعاود المجيئ اليوم"

اخترت كتابا و خرجت ،حتى لا أتأخر عن موعد العودة الى المنزل و أسمع توبيخات نجلاء السخيفة.

" انتظري لحظة اختي هايي"

" هل ناديتني؟"

" نعم؛ مرحبا أنا أكرم"
"أهلا، ماذا تريد"
" هل أستطيع التعرف عليك،دعينا نجلس في مكان ما و"
"هل هناك شيئ مهم يدعو للجلوس ،أيضا أنا لا أعرفك و ماذا تريد أيضا"
"هل بإمكاني معرفة اسمك"

" لماذا؟؟"

"فقط أريد أن أعرف"
" لا لايحق لك ...من أين خرج لي هذا المعتوه أيضا"

"حسنا كما تريدين ؛ أنا أعمل في المكتبة و هناك صديقي أيضا كان يراقبك بين الحين و الآخر وأعجب بك فطلب مني التحدث إليك عنه"..

مقاطعة إياه.

"آسفة أخي لكنني لست متفرغة لهذه المواضيع و قل لصديقك ذاك أن يتراجع و يبتعد عني"

أكملت طريقي إلى المنزل و أنا مرهقة من يومي الشاق ,دخلت للمنزل ثم غيرت ملابسي و لم تمض بعد ربع ساعة حتى رن الهاتف الرئيسي ؛نهضت لأرد.

" الو"

" الو مرحبا زبرجد أنا ياسين"

" ماذا تريد قلت لك لا تتصل مرة أخرى"

" أنا لا أتصل بك ؛أريد التحدث إلى جدي"

" حقا نسيت، و هل تركتم لي عقلا لأفكر أساسا"

" مع من تتكلمين؟"

" إنه ياسين يا نجلاء ،يريد جدي"

".أعط الهاتف إلى جدك و إلحقي بي إلى المطبخ ،لا تتكاسلي"

"جدي ، ياسسين على الهاتفف"

".ها أنا جئت يا نجلاء"

"نعم تعالي و حضري الفطور بالأشياء التي تركتها هناك و أسرعي، اا تذكرت أريد ان أسألك عن شيئ"
" نعم تفضلي"

" هل يوجد شيئ بينك و بين ابن عمك ياسين"

"نجلاء ،هل أصابك شيئ؟؟"
"سألتك فأجيبيني"
"و هل نبدو و كأن هناك شيء بيننا"

" حسنا انسي ماقلته"

كنت أعد الفطور في المطبخ و أفكر في كلام نجلاء (يا ترى من أين لها أن تعرف،حقا إنها امرأة خطيرة) حتى نادتني فاطمة ابنة عمي الصغرى.

" زبرجد تعالي هاتفك يرن"

"قاادمة"

" الو سها كيف حالك"

" بخير و أنت"

" الحمد لله"

" تعالي إلى المنزل في المساء أرجوك اشتقت إليك"

" ماذا ستطبخين لي"

" سأعد لك كل ما ترغبين به فقط تعالي لزيارتنا"

" هل ستعديها انت ام خالتي سوسن"

" أنا من يسعدها لكن بشرط أن تساعدينني "

" يا مستغلة أنت ،سأطلب اذنا من جدي ثم آتي"

" حسنا أنتظرك"

ذهبت إلى غرفة جدي مسرعة و طرقت الباب.

" هل أدخل يا جدي؟"

" نعم تفضلي ابنتي"

" أتريد مني أن أحضر لك شيئا ما؟"

" لا شكرا"

"لقد نادتني سها للمبيت معها هذه الليلة ،هل تسمح لي بالذهاب"

" تستطيعين ، لكن هذه الليلة فقط"

" حسنا جدي؛ أحبك جداً"

" اعتني بنفسك"

رتبت أشيائي و خرجت إلى بيت سها و كنت قد اشتريت بعض الأغراض و في طريقي إلى بيت سها ،سقطت الأكياس من يدي و بقيت متجمدة في الشارع

(5)
...

"أختي هل أساعدك،هل أنت بخير"
"نعم بخير،شكرا لك"
. جمعت أغراضي و اختفيت من الطريق
"سها الجرس يرن"
"حسنا أمي"
"زبرجد عزيزتي،مابك !!!وجهك شاحب"

"عمي اتعلم أين ذهبت زبرجد؟ "

" نعم ،ذهبت إلى بيت صديقتها لتبقى عندهم هذه الليلة"

"أيعقل أن تسمح لها بالمبيت عند صديقاتها ؛ثم من صديقتها هذه! هل نعرفها"

"ابنتي أنا لا أخطأ في قراراتي لست طفلا لتتدخلي ؛سها ابنة محمد فتاة عاقلة و انا أثق بعائلتها"

" حسنا عمي، آسفة لم اقصد أن أتدخل"

في منزل سها:

"نعم غادرت ذلك اليوم المحطة و في طريقي التقيت بصديقه أخبرني عن الفتاة و قبل بضع دقائق من وصولي إلى منزلك الآن لمحته مع نفس الفتاة عند الصائغ ،

لم يكن سهلا أبدا ما حدث لي , في الحقيقة كنت انتظر منه المساعدة بعد فقدان عائلتي حتى أنني قلت في داخلي ربما سيعترف بخطئه انذاك و يتقدم لخطبتي لكنني أدركت اليوم أن مشاعره لم تكن صادقة إتجاهي و ما أتمناه الآن أن يختفي فقط ."

"أفهمك لكن مازلت مندهشة، هل يعقل؟ كان ياسين آخر شخص أنتظر منه هذا لا أصدق"...

"نعم عزيزتي"

" حقا غريب ما يحدث"

"لا تكترثي يا سها المهم أن الحقيقة ظهرت، يقال أن حبل الكذب قصير كان سيفضح اليوم أو غدا،كما أنها أصبحت فرصة لي لأتخلص من هذه التفاهات"

" نعم ،دعيني انهض لأجهز المائدة"
" انتظري لأساعدك"
ذهبت للحمام لأغسل يداي و بقيت أتأمل نفسي في المرآة لفترة .
"أبدو متعبة جدا يجب علي أن أريح نفسي"
"زبرجد لقد نزلت تعالي ساعديني"
" قادمة"
تناولت العشاء مع عائلة سها و جلسنا نتبادل الأحاديث حتى منتصف الليل ثم خلدنا إلى النوم ،أمضيت يوما رائعا برفقتهم"

في الصباح استيقظت و رتبت أغراضي ثم جلست منتظرة سها.

" صباح الخير"

" صباح النور، لماذا لم تنزلي حتى الآن لقد أعدت أمي فطور الصباح"

" كنت أنتظرك"

" ها قد انتهيت هيا لننزل"

تناولت فطور الصباح مع سها ثم شكرتهم على حسن ضيافتهم و غادرت و في طريقي زرت المكتبة لإعادة الكتاب.

"انظر يا صديقي إنها تلك الفتاة قادمة ،سأذهب إليها هذه المرة بنفسي لأجرب"
كان حسام فتا طويل القامة ,خمري البشرة ,عيناه بنيتا اللون و يعلو وجهه لحية خفيفة ,تتمناه كل فتاة ليكون زوجا لها لكنني كنت أعرف طباعه مسبقا .
شخص يستهزئ بمشاعر الغير و متعجرف ,رغم كل صفاته الجسدية الجذابة الا أنه عار معنويا .

"يا آنسة ...عذرا هلا توقفت "

" نعم هل ناديتني؛ من أنت"

"أنا حسام أعمل في المكتبة، هل نستطيع التحدث في مكان ما"

" أخي لا أتحدث مع الغرباء و إن كان مهما قل الآن لأكمل المسير"

"حسنا لن أطيل الحديث لقد لمحتك عدة مرات حين كنت تترددين إلى المكتبة و أعجبت بك"

" أهذا الشيئ المهم الذي تريده ؟ "
"االاه تذكرت أنت المعتوه الذي أرسل صديقه لي أو لأخبرك لا تتحدث إلي"

أكملت طريقي و أنا متوترة,كانتا كلتا يداي ترتجفان خوفا من أن يراني أحدهم و يسيئ الظن بي.

"لا بأس أيتها الجميلة قد لا ترغبين بي اليوم لكنني متأكد حين تتعرفين علي عن قرب ستغيرين رأيك"

حين اقتربت من المنزل لمحت نجلاء ،كانت نظراتها لا تبشر على الخير.

" زبرجد تعالي إلى هنا"

" صباح الخير خالتي نجلاء"

" أي خير يا ابنة الشوارع؛ من ذلك الفتى الذي كنت تتحدثين إليه؟"

"لا أعرفه إنه عامل في المكتبة و لا أعلم ما يريده مني"

"ماذا ماذا؛ حين كنت مارة من هناك رأيتك تقفين معه و تبادلتما أطراف الحديث سأخبر جدك بكل شيء..."

".. .لكن"

سبقتني نجلاء إلى الداخل ، فأسرعت و دخلت إلى غرفتي و جلست افكر ماذا سأفعل إن أخبرت الجميع ،و شرعت أقول في نفسي:

"لا أظن أنها ستخبره،حتى و إن أخبرته لن يصدقها... و ماذا إن صدقها! سيخيب ظنه بي و لن يسمحوا لي بإكمال دراستي يا الله ماذا سأفعل"
أمضيت شهرين بصعوبة و ها نحن مقبلين على فصل الشتاء،لست بخير،انني أعيش خوفا كبيرا فكلما نسيت أمر الفتى و تأقلمت ظهرت زوجة عمي لتهددني ثانية و أعيش نفس الشعور"

تشجعت يوما و عزمت على أن أخبر جدي بكل ما يحدث،كنت أود اخباره كيف تهددني نجلاء و تستغلني لكن الأمر فشل طبعا،حين تقدمت لأخبره ساءت حالته و أخذناه للمستشفى ،و كأنه محكوم علي بالإعدام لكنني لازلت أنتظر على حبل المشنقة.

دخلت إلى المطبخ لتحضير الغذاء.
"يا الاهي لم يتبقى الكثير على الموسم الدراسي و أنا لم..."

"زبرجد تعالي؛هاتفك يرن"

" الو، كيف حالك رقية"

" الحمد لله و أنت"

" بخير الحمد لله"

"زبرجد تعلمين أنني سأتزوج، أخبرتك الشهر الماضي لتحضري عرسي و ها أنا أذكرك . يوم الخميس في المكان الذي اتفقنا عليه، إياك أن لا تحضري"

" أعدك عزيزتي سآتي رفقة سها"

" حسنا؛ إلى اللقاء"

" إلى من كنت تتحدثين؟"

"كنت أحدث صديقتي؛ دعتني إلى حفل زفافها"

"قررت أن تذهبي طبعا ؛ لا يوجد حفل زفاف و ما شابه ستبقين هنا"

"خالتي نجلاء لقد وعدت صديقتي ثم إن جدي سيسمح لي ؛ لن تمنعينني هذه المرة لقد سئمت منك و من تهديداتك افعلي ما شئت"

خرجت من الغرفة متجهة إلى غرفة جدي فالتقيته في الرواق

" جدي هل استطيع أن أطلب منك شيئا"

"نعم ماذا هناك "

" دعتني إحدى صديقاتي إلى حفل زفافها و سأذهب مع سها"

" لا بأس تستطيعين الذهاب لكن بشرط"

" ما هو؟"

" ستذهب معك نجلاء"

" ...لكن يا جدي"

"لايوجد لكن ،لن أتركك لوحدك في حفل الزفاف"
"حسنا"

إنتظرت يوم الخميس بكل حماس ، لقد مر وقت طويل لم أحضر فيه عرسا، جهزت نفسي لعدت ساعات حتى دقت سها باب البيت.

" خالتي نجلاء افتحي الباب هذه سها، سأحضر حقيبتي من الغرفة، إنتظروني"

"ادخلي ستحضر حقيبتها و تأتي؛ إسمعيني ستطبقين ما طلبته منك بالحرف الواحد و إلا سأخبرها انك.."

"حسنا حسنا سأفعل ما أردته يكفي عدم إخبارها"

" سها؛ يااا سها"

"نعم! ؟"

" أناديك منذ مدة و أنت شاردة؛ هل هناك ما يقلقك"

" لا يا زبرجد أنا بخير، هيا نذهب"

وصلنا إلى العرس لم يتغير شيئ،لاتزال حفلات الزفاف على حالها. بنات يلبسن أحلى الفساتين ، أطفال صغار متأنقين ,جميع المصابيح مضاءة مستعدة للإعلان عن بداية الزفاف ، هكذا هي عادات وتقاليد الجزائر لا تتغير .
دخلنا إلى الخيمة الخاصة بالنساء ثم جاءت أم العروس لترحب بنا بينما كانت العروس تجلس على كرسيها المزخرف و هي في أبها حلتها ، مر الوقت سريعا شعرت بالسعادة رغم أنني لا أحب الاختلاط بالآخرين كثيرا لكن منظر الأطفال و العجائز جعلني أعود إلى الماضي ،لأتذكر الأعراس التي حضرتها مع أمي.

حين اقترب موعد العشاء قدموا لنا أصناف الطعام المعتادة ؛و بعد الانتهاء من تناول الطعام نهضت لأبارك لها
" الف مبروك حبيبتي فرحت لك من كل قلبي،خذي أحضرت لك هذه الهدية"

" لماذا أتعبت نفسك يا زبرجد ؛أين سها ألم تأتي معك"

" بلى ؛لابد أنها في الأرجاء"

ذهبت للبحث عن سها و زوجة عمي التي اختفت فجأة أيضا.

"يا الله أين ذهبتا ؛الو سها إنني أبحث عنك أين ذهبت فجأة"

لقد غادرت مع نجلاء ؛اخرجي من هناك تنتظرك سيارة أجرة عودي إلى " المنزل"

"الو سها الو...يا لها من حمقاء أقفلت، يا ترى ماذا جرى...يا الاهي أيعقل أن يكون جدي مريض"

عدت إلى المنزل و حين دخلت سمعت صوت عمي يصرخ بإسمي؛ارتجف قلبي و شعرت بأن هناك شيئا لا يدل على الخير ؛دخلت إلى الغرفة .

(6)

.....
الجميع هناك يحدق بي يا ترى ماذا فعلت ما الورطة التي أنا فيها الآن و فجأة تذكرت، يا إلاهي هل يعقل أن نجلاء أخبرتهم بكل شيئ ,لكن مادخل سها تشوش عقلي و بقيت شاردة و فجأة:

"تعالي إلى هنا يا عديمة التربية, أخبرينا من هذا الشاب الذي تتحدثين إليه و تلتقينه خلسة"

"أي شاب يا عمي ،هل تسمع أذناك ما يخرج من فمك"

" اتتكلمين معي هكذا"

تقدم عمي نحوي و رفع يده ليضربني , أغمصت عيناي و لكن جدي منعه.

" لن تتدخل في وجودي اسمعتني "

"..... لكن يا أبي"

" لن أعيد كلامي ؛ ابنتي سها تستطيعين الذهاب"

خرجت سها و نظراتها مترددة، لم أفهم شيئا؛عن أي موضوع يتحدثون؟

" هل أراد عمي أن يضربني حقا؟؟ ،أريد توضيحا أنتم تتهمونني بشيء لم أفعله "

"إنك تلتقين مع فتى يعمل في المكتبة إسمه حسام ؛ و الجميع يشهدون على ذلك"

"جدي أقسم لك أنني لا أعرفه؛ صحيح أنه يعمل في المكتبة لكنني لا أعرفه عن قرب كما أنه هو من قاطع طريقي "

"زبرجد إذهبي إلى غرفتك لا أريد مناقشتك"

"ألا تصدقني يا جدي؛أرجوك يا جدي صدقني أنا لا أعرف شيئا"

"سمعت ماقاله اذهبي إلى الغرفة لا يريد رؤية وجهك"

"يا لها من وقحة،بعد الفضيحة و لازالت تتحد ث"

"نجلاء اصمتي قليلا و إذهبي للنوم"
"حسنا عمي تصبح على خير"
غادرت الغرفة و قلبي لا يتحمل أكثر يكاد ينشطر من الحزن ،كلما قلت انتهى ها أنا أنجو يظهر شيئ جديد و كأنني أغرق على اليابسة.

"مع من أعيش أنا يا إلاهي لقد تعبت من تصرفاتهم ؛ لا أستطيع التحمل يا أمي إلى متى و أنا أهان هكذا تعبت من الحياة ؛ ليتكم بقيتم و ليتني لازلت نائمة في تلك الليلة و لم استيقظ أبدا ، ليتني ذهبت معكم و انتهى أمري هناك.
لا أعلم إن كنت قد نمت أم لا
لست بخير، كل شيئ معقد ..سها... و فتا لا صلة لي به.
كنت أعرف أنني وحيدة بدون أحد لكن اليوم شعرت بذلك حقا ،تسقط و لا يرفعك أحد، تظلم و لا يدافع عنك أحد ...أنا وحيدة حقا .
ذهبت إلى غرفة جدي لأكلمه لعله سامحني .

" جدي هل أنت بالغرفة؟"

" لا ياعزيزي خرج باكرا لديه بعض الأعمال"

" نجلاء،هل تتعقبينني؟ "

"!ما المناسبة يا عزيزتي،لماذا أتعقبك"

"أيضا ما الأعمال المهمة التي يجب أن يتولاها شيخ كبير في السن و متقاعد،هل تمازحني هذه"

"ماذا تتمتمين؟"

"لا شيئ يا زوجة عمي العزيزة،ماذا حدث بالأمس لسها لم تتصل بي منذ البارحة"

"إن سألت صديقتك سيكون أفضل لكنني سأخبرك ،بالأمس عندما كنا في عرس صديقتك طلبت مني أن نغادر إلى المنزل و بأن هناك شيئ مهم يجب أن يعرفه جدك ثم غادرنا و عندما وصلنا وجدنا عمك عند الباب فطلبت سها منه الانضمام إلى جدك لتخبرهم بشيئ مهم عنك"

"أي خبر تقصدين؟؟"

"عزيزتي أنت فتاة ذكية فكيف لك الا تعرفي أي خبر أقصد،ألم أسألك حينها و قلت هل يوجد بينكما شيئ يا ترى فقلت لا"

"...اتقصدين ياس"

"نعم أقصد ذلك الذي يعمل في المكتبة،لكن من ياسر؟؟"

" ياسر؟؟"
"... حسبتك قلت ياسر ،حسنا بعد ذلك قالت لجدك أنكما كنتما تلتقيان"

"لكن هذا كذب أنا لا أعرفه ؛ شخص اعترض طريقي و لا أعرف إسمه حتى أصبح ذو أهمية لهذه الدرجة ،لقد اتهمتموني دون أي دليل هذا ظلم ؛ هل انتم تفكرون أم لا ؟ أنت تكذبين سها لا تقول مثل هذه الأشياء إنها صديقة طفولتي"

"هل تعلمين أظنك معتوهة اتظنين أن الصداقة ستدوم للأبد كانت ستنتهي هكذا على أي حال. صديقتك تخلت عنك أرادت أن تحمي نفسها منك فأنت لا تجلبين سوى المشاكل يا فتاة ؛ هل أخبرك عندما كنت صغيرة كانت لدي صديقة..."

"لا أريد سماع حكاياتك من ذا الذي يصادق شريرة مثلك. أنت شخص سيئ جدا و لا تعرفين شيئا عن الصداقة أو الحب و الآن دعيني انهض"

دخلت إلى غرفتي و موضوع سها لا زال يشغل بالي ؛نعم سها بها شيء ما لكني لا أصدق ماقالته تلك؛ أو ربما شيء ما دفع سها لتقول شيئا كهذا.

" زبرجد لقد جاء جدك"

"حسنا أنا قادمة؛ مرحبا جدي"

" مرحبا"

" لازلت غاضبا مني؟"

" أيمكننا أن ننسى موضوع أمس لفترة فأنا مشغول هذه الأيام"

"جدي سأذهب الأسبوع المقبل إلى الجامعة"

"لن تذهبي لا يوجد جامعة و ما شابه ذلك ، حتى الخروج من البيت ممنوع لقد ناقشت الموضوع مع عمك بالأمس،تستطيعين تعلم الخياطة أو أي حرفة أخرى لكن الجامعة إنسي أمرها"

نظرت إلى زوجة عمي و إذا بها في قمة سعادتها.

"لا يعقل يا جدي هل درست كل تلك السنوات عبثا غير ممكن أريد إكمال دراستي ، لدي فكرة مارأيك أن تأخذني أنت إلى الجامعة كل يوم ،إن كنت غير مرتاح لخروجي"

" لا أملك وقت لدي عدة إنشغالات"

"لن ابقى هنا سأجمع أشيائي و أغادر"

" إن وجدت مكان مناسب فاذهبي"

" حقا ؛إذن لأتصل بخالتي"

"أصمتي إنك تتلفين أعصابي بثرثرتك الزائدة لن تذهبي لأي مكان ستبقين هنا؛ و اسمعيني جيدا با إبنة علي كلامي لن أعيده و أنا مشغول تستطيعين الانصراف الآن"

شعرت كأنني ابتلعت حجرا و علق في حنجرتي و لن يزال إلا بالبكاء ،هل أبكي أمامهما مثل كل مرة ليشاهداننني منهارة...كفى لن أبك هذه المرة ،أجيبي و دعيه يتجرع الألم.
صمتت قليلا ثم أجبت:

"يا إلاهي أتسمعون إنه يعلم أنني إبنة إبنه الكبير علي ظننتك نسيت !!؛ أتعلم ياجدي لو كان هنا علي لقال لك أهكذا تعاملون آخر وردة من حديقتي؟"

بقي جدي شاردا و بعد بضع دقائق سمعت نجلاء تقول:

" حقا ياسين ألف مبروك عزيزي؛ سأنادي جدك"

" ماذا هناك؟ ما هذه الضجة على الهاتف ؛تعالي زبرجد باركي لإبن عمك"

"بماذا أبارك له"

"سيتزوج ياسين "

"اا يا له من خبر مفرح ، ألف مبروك ابن عمي العزيز اتمنى لكما السعادة من كل قلبي"

بقيت في غرفة الجلوس انتظر جدي ليتحدث مع ياسين.
كنت كالمعتوهة تماما أفكر و أفكر ثم أرمي الكلمات فقط منتظرة أن يصغي لي أحدهم.

"زبرجد ،زبرجد"
"نعم ،هل أنهيت مكالمتك؟"

"نعم لقد أوصيت زوجة عمك على ملابس الشتاء ستذهبين معها للتسوق"

" يا له من خبر رائع،انني في قمة سعادتي
هل هذه مزحة أم ماذا ؟ ما هذه البرودة أم تريد إسكات ضميرك الذي يأنبك لا أحتاج لأي شيئ منكم دعوني و شأني"

هذه المرة دخلت غرفتي و اتصلت بخالتي لأخبرها بما حدث معي.

" الو خالتي كيف حالك"

" بخير و أنت عزيزتي"

" الحمد لله"

بعدما تحدثنا لفترة قالت خالتي:

" زبرجد هل تحتاجين إلى شيئ أو تودين إخباري بشيئ"

"لا يا خالتي ؛ فقط أردت الاطمئنان عليكم"

"أتعلمين يا زبرجد إسماعيل طرأ له عمل في الأردن
و أراد أن يأخذنا معه لكنني رفضت لأن ابنتي ستأتي قريبا ،مارأيك أن تذهبي
معه و زوجته لقد طرحت عليهم الفكرة و رحبوا بك ،ماذا تقولين يا زبرجد؟"

"لا أعلم يا خالتي ،تحدث أشياء سيئة هنا سأفكر ثم اقول لك"

"ماذا يحدث ؟هل يسيئون معاملتك أخبريني!؟ "

"لا يا خالتي الجميلة ،فقط الأمور ليست على ما يرام"

"حسنا لا تفكري بالمصاريف فأنا سأتكفل بالأمر و لا تترددي في الذهاب معهم
أرجوك "

" حسنا سأفكر بالأمر إلى اللقاء"
"إعتني بنفسك وداعا"
يا الاهي لماذا لم أخبرها؛ يالك من حمقاء يا زبرجد.

بقيت في الغرفة و شعرت كأنني أختنق، سمعت زوجة عمي تنادي طفلتيها
للخروج.
"هيا يا فاطمة نادي اختك و أسرعا سنتأخر"
"إلى أين يا نجلاء؟"
"الم تتجهزي بعد،ماذا قال لك جدك"
"يا لي من حمقاء نسيت الأمر كليا،انتظراني"

في الحقيقة لم أنسى و لم تكن لي الرغبة بالخروج لكنني غيرت رأيي.
خرجت معهن و تجولنا في محلات الملابس،كان قد أعطاها جدي مبلغا لأجل إقتناء معطفا شتويا لي.
"انظري يا زبرجد كم لاقت هذه الكنزة بزينب تبدو كالدب الصغير"
"نعم إنها جميلة ،اشتريها لها"
"حسنا"
لم تسمح لي الفرصة لشراء شيئ فكلما ألقيت نظرة اعترضتني نجلاء
"زبرجد أنا آسفة لم يتبق معي أي مال لك"
"لابأس سأذهب إلى منزلي لأحضر ملابسي الشتوية"
"عزيزتي لن تخبري جدك بما حصل ؟"
" لن أخبره فأنا لست مثلك طبعا "
فتحت الباب كان المحيط هادئ جدا،نظرت إلى شجرتي ثم دخلت إلى المنزل.
"اشتقت لك"
كانت الذكريات جميلة جدا لكن الواقع مؤلم حقا ،بكيت كثيرا ثم أخذت ملابسي و غادرت.
عدت إلى البيت و لم يلاحظ أي أحد غيابي،حتى أنهم لم يتركوا لي الغذاء ،لابد أن نجلاء اقنعتهم بطريقة ما عن سبب غيابي ، حل المساء لا يرن هاتفي و لا يطرق بابي بينما الجميع في العالم انا في جزء منه هنا منفردة.

في اليوم التالي؛ خرج الجميع لقضاء أشغالهم و بقيت وحدي في البيت حتى طرق الباب ؛ فتحت و إذا بي أراهما

(7)

" مرحبا كيف حالك"

. بقيت شاردة لفترة

" عفوا ماذا قلت لي؟"

" سألتك عن أحوالك"

" بخير الحمد لله"

" إذا هل تريدين إبقاءنا عند الباب"

"لا عذرا تفضلا ؛بالمناسبة أظنك عروستنا الجديدة"

" نعم يا عزيزتي"

"سأعد لكما القهوة"
دخلت المطبخ و أنا أتكلم مع نفسي
"ماذا فعلت أنا و أي ذنب ارتكبت حتى هذا السفاح المتلاعب بالقلوب لم يجد يوما ليأتي مع زوجته العزيزة إلا هذا اليوم"

"زبرجد ماذا تفعلين؟هل تتحدثين إلى نفسك"

" لا يا ياسين ،ما سبب زيارتك المفاجئة"

" جئت أنا و زهرة لندعوكم إلى حفل الزفاف الاسبوع المقبل"

" لماذا أنتم على عجلة من أمركم"

"أظن أنه الوقت المناسب لأتزوج؛ في الحقيقة أريد التحدث إليك عن موضوع آخر"

"لا تتحدث عن أمور أخرى ستأتي زوجتك وتسمعنا لهذا عد إلى مكانك و أصمت أو غادر"

فجأة شعرت بدوار ،كل شيء يدور من حولي ،جلست بسرعة و بقيت صامتة

" زبرجد هل أنت بخير؟"

"لا لست على ما يرام ،أحضر لي كأس ماء من فضلك"

" هل تحسنت؟ "

"نعم بخير، شكرا"

"أعلم أنك مازلت تحبينني ،أعلم يا زبرجد لكنك تخفينه بداخلك وجب عليك نسياني أنا سأتزوج و أغادر هذا المكان قريبا و لن نلتقي مجددا"

"هل أنت معتوه ام ماذا؟ من قال لك أنني أحبك صدقني أنا غارقة في مشاكلي الخاصة و لا أملك الوقت حتى لمناقشتك الآن و للأسف لا أستطيع التخلص منك لأنه منزل جدك لهذا أغرب عن وجهي"

"حسنا يا زبرجد لا تصرخي ستسمعك"
"أنت من بدأت"
"لست سعيدا بنهاية كهذه "
ثم خرج من المطبخ.

"هيا زهرة سنغادر"
"ماذا حدث؟؟"
"لا شيء عزيزتي"

جاء جدي بعد مدة من مغادرة ياسين و خطيبته:
" زبرجد تعالي إلى هنا،لديك زيارة "

"هل أنا في سجن أم ماذا . يا ويلك يا ياسين إن عدت مجددا ؛حسنا أنا قادمة لا بد أن سها قد أتت"
خرجت من الغرفة و رأيته .....

نعم كان ذلك الشاب في المكتبة...

"مرحبا زبرجد كيف حالك"

"جدي ماذا يفعل هذا الشاب معك"

فتح جدي غرفة الجلوس و بعد برهة ناداني لأنضم إليهم.
".الن يوضح لي أحد ما يجري هنا،لا أريد مقابلة هذا الشاب"

"اسمعي يا ابنتي جاء حسام قاصدا بيتنا ليطلب يدك للزواج؛ و كما تعلمين توقفت عن الدراسة و..."

"جدي لم أتوقف بل أنت من منعتني و حرمتني منها و لا أريد أن أتزوج من هذا لأنني لا أعرف من يكون ،هل تعرف شيئا عن عائلته أنت ، لا طبعا ،هل تعرف شيئا عن أخلاقه و تصرفاته. لا ؛ لهذا دعوني و شأني"
بقي ينظر إلي ثم قال:
" ماذا يا زبرجد انسيتني بهذه السرعة"

" لم اعرفك قط لهذا كفاك كذبا، مخادع"

"زبرجد احترمي الآخرين ما هذه الردود الفظة ؛ لقد تكلمت مع الشاب في طريقي إلى هنا و أعجبني ،كذلك طلب يدك و أنا سأقبل فماذا عنك؟"

"ماذا ماذا ،جدي هل أصابك شيئ هذا الصباح ؟ أظنني فهمت قصدك, أنت تريد التخلص مني ,أنا لازلت صغيرة على الزواج حقا تود تحطيمي عمدا .منعتني من الدراسة فصمت ثم قلت لن تخرجي من المنزل و صمت ماذا تريد مني، أنت تقتلني يا جدي"
أصمتي ، تتكلمين كثيرا و تقللين أدب دعينا أولا نتعرف على الشاب ثم لنقرر"

"لا أريد يا جدي أنت لا تفهمني"

"ابني هل لك أن تتركنا على إنفراد لبعض الوقت"

"طبعا سأخرج إذا "

" حسام شخص رائع ، كما أن الزواج لا يتعلق بالسن سيكون أفضل لك و لنا"

"عجبا ما كل هذه الثقة ؛ ما أدراك أنت منذ متى تعرفه دعني أخبرك إلتقيته قبل قليل فخدعك بكلامه المعسول وإحترامه المزيف رأيته بعيني في المكتبة لم يترك فتاتا إلا و تغزل بها إنه رخيص و ماذا إن كان مخادع ماذا لو تزوجته و تطلقت هل ستتحمل ما سيحدث أم سترسلني إلى الشارع ؛لا أريده هذه آخر كلمة عندي"

خرجت من الغرفة فوجدته عند الباب لم أنظر إلى وجهه كنت متضايقة لدرجة أني أردت الخروج و الصراخ بأعلى صوت .
عند دخولي إلى الغرفة رن هاتفي
بقيت شاردة لفترة و الهاتف يرن ،عجبا هل سأرد لكن هذه المرة مختلفة كان المتصل سها ،نعم سها التي لم أرها و لم أسمع صوتها منذ تلك الحادثة كدت أصدق كلام زوجة عمي . و كيف لا أصدق و سها فرت هاربة كأنها تقول أنا الفاعلة لكني خجلة من فعلتي التي لا تغتفر

" الو"

"الو زبرجد كيف حالك"

" الحمد لله و أنت و عائلتك"

"الحمد لله كلنا بخير"

" إذن يا عزيزتي ما مناسبة هذا الاتصال المفاجئ"

" زبرجد لا تفعلي أرجوك"

"افعل ماذا؟!، ألم تبدئي انت بهذا ألم ترميني إلى الهلاك بيديك كذبت لأجل لا شيء يا سها لأجل لاشيئ"

"حسنا لا يمكن على الهاتف فالنلتقي و نتحدث سأشرح لك كل ما حدث وعد مني"
"حتى أفكر"

" أرجوك تعالي إلى مكاننا المعتاد و اسمعيني لمرة واحدة"

بقيت شاردة لفترة ثم نهضت لأطلب الإذن من جدي لعله يتركني أخرج، فسمعتهم بالصدفة.

"لا يجب تركها هكذا يا عمي الفتاة تكبر اليوم أو غدا و إن لم يتقدم إليها أحد ستبقى علة فوق رؤوسنا و ما يهم أكثر من سيعتني بها بعدك هل أنا التي ليس لدي حول و لا قوة لتربيتها؟"

" معك حق رغم ذلك سأفكر يا ابنتي و أقوم بما هو لصالحها "

"يقول صالحي ؛ طبعا كيف نسيت هذا تريد هذه التخلص مني....ياإلاهي ماذا فعلت كيف اتهمت سها !! ما مصلحة سها من هذا ؛ بدأت أفهم الآن"

خرجت على عجلة من أمري لأرى سها ،بقيت ادعو الله طول الطريق أن لا ألتقي بأحد يعكر مزاجي فأنا لست على ما يرام هذه الفترة .

"اهلا"

"مرحبا ، شكرا لانك أتيت ظننتك..."
" حسنا سها اشرحي لي كل ما حدث "

"أريد الاعتراف لك بشيئ ،أنا من أخبرت ذلك الشاب في المكتبة عن اسمك و مكان سكنك، والله لم أقصد يا زبرجد قام بخداعي ، قال أنه يعرفك و أنا أخبرته"

"حسنا لقد فهمت و في تلك الأثناء رأتك نجلاء و قامت بتهديدك"
"نعم هذا ما حدث"
"يا لها من امرأة غبية"

"اتعلمين يا أختي حقا أنا آسفة لما حدث ،كنت متأكدة انك ستسامحينني و لن تتخلين عني"
"من قال أنني سامحتك"
"لكن يا زبر..."
"، أنا أمزح في البداية كدت أصدقها فإختفاءك المفاجئ جعلني أشك فيك "

"ماذا عن الموضوع الذي تحدثنا فيه عبر الهاتف"

" كما اتفقنا يا سها و أنا ممتنة لك طول عمري إذا نجح الأمر"

" إذا دعينا ننهض"
"لا دعينا نبقى أكثر،لقد اشتقت لك"

عدت إلى البيت بعد مدة لكن هذه المرة لم أنجو.

"أين كنت؟"

"جدي؟ماذا تفعل هنا"

"كنت أنتظر حفيدتي العزيزة ،أين كنت ؟ سألتك فأجيبي"

"ذهبت للقاء سها تستطيع الاتصال بها و تتأكد"

"لن أتصل بأحد لن تخرجي من هنا حتى و لو ذهبت للقاء صديقاتك هل تفهمين؟"

" قل ما تريد فأنا لم أعد أهتم"

"أظنك ستهتمين يا زبرجد بعد هذا الخبر"

"أي خبر يا نجلاء ؟"

"قررت أن أزوجك حسام"

ضحكت كثيرا لفترة و بصوت عال و كأنني سعيدة،حتى كادوا يصدقون

" عفوا جدي أظنك لا تفهم بسرعة ،لقد قلت لك لن أقبل"

"لم أطلب موافقتك قلت ستتزوجين هذا الشاب و ستفعلين دون معارضة اذهبي لغرفتك لن أسمع صوتك"

ذهبت إلى غرفتي و أنا هادئة؛ ما عساي أفعل بعد هذا

"أترين يا نجلاء في زمننا عندما يقبل رب البيت لا يعلو صوت فوق صوته و تذهب الفتاة إلى بيت زوجها دون معارضة و فتيات اليوم أنت تقول سوداء فيختارون هم البيضاء"

"نعم يا عمي أنت على حق ، انهم حقا لا يفلحون في شيئ سوى المعارضة على قرارات الكبار"

أشعر بتحسن منذ موافقتهم على زواجي ،على الأقل تركوني و شأني . بدأ ياسين في تجهيزات عرسه و الجميع سعيد به و ينتظرون حفله بكل تشويق،بينما أنا هنا أعد الأيام و كأن لاشيئ يحدث.

"أين هذه الفتاة جاء حسام لخطبتها مع أمه و هي لازلت تغلق على نفسها، ياإلاهي ماذا فعلت أنا لأعاقب بها"

فكرت مليا ثم لا أجد و لا سبب واحدا ليبقيني هنا عائلتي غادرت و تم القضاء على مستقبلي بنجاح...حقا ماذا انتظر! أن يأت فارس الأحلام على حصانه الأبيض لينقذني، لن يتغيرشيئ إن تزوجت أو لم أتزوج.

" هل أنتِ هنا؟ كنت أبحث عنك، أرى أنك جهزت نفسك جيدا"

"حسنا لكن لماذا لم تخبروا سها؟"

" هذا ما أراده جدك يا عزيزتي"

" لا أظن أنه قرار جدي"

"ماذا قلت؟"

"لا شيئ يا نجلاء دعينا نذهب"

دخلنا إلى غرفة الجلوس.

كان برفقة أمه و أخاه فقط ؛منذ دخولي و هم يتحدثون مللت من أحاديثهم و الأكثر مللا كانت نظرات ذلك المعتوه إلي حتى قالت أمه:

"إذن بما أننا قد إتفقنا على كل شيء نريد أن نجعل موعد العرس قريب فلا داعي لابعاده أو تأجيله"

"نعم بالطبع فالنجعله اليوم قبل الغد"

"عجبا،هل هناك شيئ يلاحقكم يا ترى! "
"ماذا؟"
"إنها تمزح معكم"

"طبعا يا نجلاء طبعا. "

(8)

بعد مرور شهر...

" تفضلي يا زوجتي الحبيبة أدخلي إلى منزلك"

" حسنا ، لا داعي للمبالغة"

لم أكن مرتاحة حتى المنزل مظلم و مخيف و كأنني دخلت إلى متاهة بقدماي.

"تعالي إلى هنا إذن أنا أحمق، أسأت الي عدت مرات و صمت انتظرت هذا اليوم بفارغ الصبر لا بأس إن تأذيت قليلا"
"ضع السكين جانبا هل جننت "
نهضت بسرعة ...
"الحمد لله يا إلاهي كان مجرد حلم"

قفزت من مكاني إلى الخارج السرير كانت الرابعة صباحا و الكل نيام.

" غدا عرس ياسين ،كيف استيقظت الآن أنا متعبة جدا"

تركت رسالة إلى سها و عدت إلى فراشي لعلي أنام.

في الصباح الباكر سمعت ضجة في الرواق لم يكن عراكا بل إنه اليوم الكبير الذي سيتزوج فيه إبن ابنهم البطل،بقيت في غرفتي حتى دق الباب.

"هل مازلت نائمة يا كسولة إنهضي لتجهزي نفسك سنغادر بعد قليل،تأخرت"

ركبنا مع عمي و غادرنا المكان حين وصلنا استقبلنا عمي و زوجته عند المدخل،كانت المراسيم عادية كما في كل عرس لم انتبه حتى انتهى كل شيئ أو أنني كنت شاردة بعيدا ،حاضرة الجسد غائبة الذهن.

استيقظت صباحا و أنا مثقلة من سهرة الأمس
"غرفتي مبعثرة جدا يا الاهي علي ترتيبها من جديد"
نظرت من النافذة كان الجو باردا جدا في الخارج و المطر يهطل بغزارة،لقد إلتحق الجميع بصفوفه الدراسية إلا أنا.
" في هذا الموسم تبقى الشجرة التي بجانب منزلنا عارية ،تكتسي حديقتنا حلة خضراء حتى رائحة التربة المبللة تعيدنا إلى إحدى صباحيات منزلنا ،لقد اشتقت لتلك التفاصيل و بدأت أخاف أن لاأراها ثانية"
تنهدت طويلا...

"زبرجد هل تتحدثين إلى نفسك يا فتاة،اسرعي إلى سطح المنزل و اجمعي الأغراض بدأ المطر بالهطول"

"سآتي يا نجلاء"

بعد مرور شهر.

كنت أغط في النوم حتى أيقظتني أحاديثهم في رواق المنزل ،نهضت لأرى ما يحدث.

" أنتم من تسببون الضجة إذا في هذا الصباح الباكر، أهلا بكم "

" نعم يا زبرجد نحن جئنا و معنا أخبارنا السارة كالعادة"

" خيرا إنشاء الله"

"سيصبح لدينا مولود جديد"

صمت لفترة ثم قلت في نفسي ما خطبك يا فتاة ماذا كنت تظنين ، في الحقيقة ما أرعبني ليس زواج ياسين و حصوله على مولود فأنا تخطيته.
أشعر و كأن الجميع يمضي في دربه إلا انا و كأنني تجمدت في نقطة ما ،لم أجني شيئا سوى خيبات الأمل لشهور عديدة.

" أحقا مبارك لكم هذا خبر رائع فرحت لأجلكما"

" شكرا لك، نعم يا جدي فيما كنا نتحدث"

" كنا نتحدث عن البلدة الجديدة أين الوجهة هذه المرة"

" ستكون نحو الشرق أرجوا من الله ان يوفقني"

"انشاء الله"

كان شيئا ما يلفت إنتباهي زهرة لم تنطق ولا كلمة منذ مجيئها ،لعلهما تشاجرا؟
أم أن هناك أمر آخر؛ ماذا لو علمت زهرة و هي تتخذ موقفا مني الآن .
بقيت جالسة حتى نهض ياسين إلى المطبخ ثم لحقته من دون لفت الانتباه.

" ياسين يجب أن أتحدث إليك"

" لا تقولي أي شيئ حتى لا يتشوش عقلي"

"أصمت هذا لمصلحتك، مابها زهرة ؟"

"مابها؟ "

"منذ مجيئكما و هي على حالها هل أخبرتها ؟"

"هل أنت على ما يرام يا زبرجد من أين أتيت بهذا الموضوع الآن مادخلك أنت من أنت أصلا"

"أنظر إلى المتعجرف كيف يتحدث ؛لا دخل لي فيك فقط لا أريد أن أبدو كالحمقاء أمام زهرة"

" اسمعيني لا تتدخلي بشؤون الآخرين و إبق بعيدة عني من فضلك"

"إسمعني جيدا أيها المغرور،انا لا أهتم لأمرك حقا فقط خفت من أن أكون سبب في تعاستكما لهذا سألت لم تكن لي نية سيئة ،لكن إعلم أنها آخر مرة اتدخل فيها"

"نعم من الأحسن أن تفعلي"
عاد ياسين إلى غرفة الجلوس،لكنهما غادرا بعد مدة قصيرة.

اقترب موعد عرسي و جاء ياسين هو و زوجته عدة مرات لكنني لم أقابلهما أبدا فقد قطعت عهدا بأن أكمل حياتي و أنا بعيدة عن هموم الجميع.
رن هاتفي
"ماذا يريد هذا المعتوه مني الآن"
"ألو زوجتي العزيزة كيف حالك ،هل أنت جاهزة ليوم الغد"

"نعم"

" اذا الحمد لله لقد جهزنا كل شيء و أنتم "

" لا أعلم إنهم يتكفلون بالأمر"

" حسنا عزيزتي إلى اللقاء"

"غبي وقح، جاء راغما إياي على الزواج به و لازال يتكلم و كأنه يحبني ،حقا مخادع."

"جدي سأخرج لشراء بعض الأغراض للغد"

"حسنا لا تتأخري"

لحظة خروجي من المنزل شعرت و كأنني تحررت، بدأ قلبي يخفق بسرعة كبيرة ركضت في وسط الطريق بسرعة كالمجنونة.
"أمي الجرس يرن"
"افتحي الباب يا عائشة"
"اميي،انها زبرجد تعالي"

لا أعلم ما قادني إلى هناك و كأنه قارب النجاة الأخير للهروب ،وصلت إلى بيت خالتي و حين فتحت عائشة الباب شرعت في النحيب كالأطفال.
" حبيبتي مابك؟ ،ماذا فعلوا لك"

"أرجوك لا تسألي يا خالتي أنا متعبة جدا من كل شيئ"

(9)

"هل نامت يا أمي؟"
"نعم يا اسماعيل ،لو رأيت حالتها لانفطر قلبك من القهر ،لا أعلم مافعلوه للمسكينة لكنني سأجعلهم يدفعون ثمن ذلك"
"أمي من الأحسن أن نأخذها معنا لأنها ستنهار هنا"
"دعنا نرتاح ثم نقرر"
إستيقظت من النوم على الساعة الخامسة مساءا.
لقد غصت في نوم عميق ،لأول مرة منذ وفاة عائلتي أشعر بالراحة .
أنا مندهشة من نفسي ؛كيف لي أن أعذب روحي إلى هذه الدرجة ؟ كيف حملت نفسي كل ذلك الضغط.
رن هاتفي فجأة.
"ألو سها كيف الحال،هل أقنعتهم"

"لا يا زبرجد آسفة لم يقتنعوا أنك عندي ،حتى أن عمك جاء إلى منزلي باحثا عنك و عندما لم يجدك أسمعني كلاما و غادر"
"انظري إلى وقاحته حقا أعتذر جدا يا سها عما حصل ؛أرجوا أن تكوني بخير"
" أنا على ما يرام لا تقلقي عزيزتي ، يكفي أن ترتاحي أنت "
" حسنا عزيزتي إلى اللقاء"
لم تود خالتي إزعاجي، بقيت في الغرفة ثم جلست و فكرت مليا بما حدث حتى موعد العشاء.
" زبرجد انزلي العشاء جاهز"
جلسنا حول المائدة مع خالتي و إبنها إسماعيل و زوجته تبادلنا أطراف الحديث لم يودوا ازعاجي بطرح الاسئلة المتتالية رغم تعابير التساؤلات المرسومة على وجوههم .
ساعدت خالتي بعد سهرة ممتعة و خلدت إلى النوم .

"أين هي ناديها بسرعة،كيف تفعل هذا بنا"
"إخفض صوتك أيها المحتال ،البنت نائمة"
استيقظت صباحا على صراخ صاخب هذه المرة و ليس ضجيجا يأتي من الخارج القيت نظرة من النافذة.
"يا الاهي هذا الغبي جاء إلى هنا أيضا"
إرتديت ملابسي و نزلت
"زبرجد هيا نذهب إلى منزل عمك،الن نتزوج اليوم"
"لا أريدك اذهب من هنا"
"ماذا،ماذا لاتريدينني"
شعرت بإحراج شديد أمام الجميع ،حتى قالت خالتي:
"هيا غادر أو سأستدعي الشرطة،إنك تزعجنا"
"لا بأس يا زبرجد سأجعلك تندمين"
بعد مدة من رحيل حسام جاء عمي و جدي للتحدث إلى خالتي ،لكنني لم أخرج فأنا متعبة جدا و لا طاقة لي للشجار أو حتى لمناقشتهما.
"زبرجد تعالي،لقد غادرا"
"ماذا يريدان يا خالتي؟"
لا تهتمي لقد قلت ما يلزم" ... صمتت خالتي مطولا ثم قالت"
"زبرجد يجب أن تذهبي من هنا ،لم يعد المكان مريحا لك سيسببان لك الإزعاج لن تستطيعي التقدم هنا "

قال اسماعيل:
"زبرجد لقد اشترينا تذاكر الطائرة لنا نحن الثلاثة،سنذهب من هنا صبيحة الغد"
" لكن و خالتي؟ "
"لن تأتي لأن فرح ستعود إلى الوطن"
"يا الاهي هذا رائع لقد اشتقنا لها"
لقد غادرت ابنة خالتي فرح البلد بعد حصولها على شهادة البكلوريا بمعدل ممتاز ذهبت للدراسة في كندا و الغد ستعود لتستقر هنا.
جهزت حقيبتي ثم جلست بجانبها أفكر مليا و أتساءل
"هل ستكون بداية جديدة لي يا ترى"

(10)
ذهبت في الصباح إلى بيت سها لتوديع عائلتها و عدنا معا لأنها أصرت على توصيلي.
"أمي أين فرشاة اسناني"
"إسماعيل خذ ملابسك الشتوية،لا تنساها"
حزمنا أمتعتنا و توجهنا نحو المطار.
"يا الله، حان وقت الوداع "
"زبرجد حبيبتي،اعتني بنفسك جيدا"
" أنت ايضا خالتي،أحبك"
"إسماعيل ستجد الأموال في حسابك البنكي يكفي أن تهتم بزبرجد "
"أمي هل هذا كلام يقال ،زبرجد مثل أختي الصغرى لا تقلقي"
ودعنا الجميع و ركبنا الطائرة
في صبيحة الغد عاد عمي الى منزل خالتي :
"أين هي،أين زبرجد"
"تحررت، انسوا أمرها"
"تحررت؟،ماذا تعنين"
" الم يكفيكم ما جعلتموها تعيشه،غادروا من هنا أو سأرفع دعوة قضائية ضدكم"

"تتذكرين يوم مغادرتك من هنا"
"نعم أتذكر جيدا،لقد مرت احدى عشرة سنة على ذلك تغيرت أنا و تغير كل شيء"
"أمي أين سنذهب الآن"
"انها مفاجأة يا زينب"

اشتقت إلى طريق المنزل،كبرت الأشجار و نمت الأعشاب على حافة الطرقات
هناك مباني جديدة و أناس غريبون.
" توقف هنا ،سننزل"
"حسنا سيدتي"
"هيا انزلي يا زينب"
"بيت من هذا يا أمي"
"لقد هرمت شجرتي ،حقا تغير كل شيء"
"ماذا قلت يا أمي،انني أناديك"
"إنه منزل طفولتي يا صغيرتي"
" جميل جدا ،أنا متشوقة لرأيته من الداخل"
فتحت الباب و خطوت أول خطوة ،كان الغبار يعلو الأرض .
دخلت و تجولت هناك ؛ كان المكان يعبق برائحة الذكريات.
"أمي هل هذه غرفتك"
" نعم،دعيني أفتح الباب"
أمسكت مقبض الباب و كأنني أمسكه مثل الأيام الخوالي...
"غرفتك جميلة جدا،لقد أعجبني لون الجدران"
"اخترته أنا و جدتك ،لقد اهترأ"
فتحت نافذة الغرفة و تسللت أشعة الشمس نحو الداخل
ها أنا عدت من جديد...